

إرهاصات غزوة بدر الكبرى (دراسة تحليلية)

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية
جامعة الزعيم الأزهري

د. حسان صديق الفاضل

مستخلص:

تناولت الدراسة جوانب من مقدمات غزوة بدر الكبرى و إرهاصات، من خلال ما أوفيته جمعاً، تبرز أهمية دراسة غزوة بدر كأول غزوة قادها النبي (ﷺ) و وضع لها الخطط وأعد خارطة طريقها . و ترتب على مبدأ التخطيط سائر الغزوات النبوية . وقعت غزوة بدر بعد سلسلة من الإرهاصات، و تم اللقاء من غير موعد بين المسلمين و الكفار ، و في وقت وجيز حسم الصراع بين الحق و الباطل، و فصلت السيوف بين الأبناء و الأبناء لإختلاف العقيدة ، و نزلت آيات التأييد الإلهي و مظاهر المعية بنصرته لرسول الله (ﷺ) وللمؤمنين . و نزل القرآن فخلد أمجاد بدر و مجريات المعركة في مواضع عديدة منه .

Abstract:

The study dealt with aspects of the precursors of the Great Battle of Badr and its implications. Through what I have provided in total, the importance of studying the Battle of Badr as the first battle led by the Prophet (may God bless him and grant him peace) and put plans for it and prepare its road map. And consequent on the principle of planning all the prophetic invasions. The Battle of Badr took place after a series of foreshadowing, and the meet-

ing took place without an appointment between Muslims and infidels, and in a short time the conflict between truth and falsehood was resolved, and swords were separated between fathers and sons for the difference in belief, and verses of divine support and manifestations of association were revealed with his victory for the Messenger God (may God bless him and grant him peace) and the believers. The Qur'an was revealed and immortalized the glories of Badr and the course of the battle in many places.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد قائد القادات ومُسَيِّر السَّرايا والغزوات ، النَّبِي المؤيَّد بالمعجزات وخوارق العادات ، رسول الملاحم المنصور في الغزوات ، صاحب المغفر والقضيب راكب البغلة والنَّجيب .

غزوة بدر أول غزوة في الإسلام ، كانت لها مقدّمات و إرهاصات كشفت عن دُنُو أجلها وقُرب أوانها ، فأذن للنَّبِي ﷺ بالهجرة إلى يثرب ونزل الإذن بالقتال لنصرة الإسلام والمسلمين ، وذلك لكثرة ما أصاب المسلمين في مكة من أذى الكفار وتعذيبهم لاسيما الموالي والمستضعفين ، وتولَّى كبار زعماء الكفار معارضة الدَّعوة الإسلامية وتبعهم العامَّة منهم . وصل المهاجرون إلى المدينة دار الإسلام وتفرغوا للجهاد في سبيل الله وأعدُّوا ، وسارع النَّبِي ﷺ إلى تتبع طُرق تجارة قريش للسيطرة على قوافلهم وما تحمله من الأموال والاستيلاء عليها عوضاً عمَّا أخذ الكفار من المهاجرين حين جرَّدوهم من ممتلكاتهم وأموالهم . وهبَّ المسلمون وانخرطوا جنوداً في كتائب السَّرايا والدوريَّات ، وكانت أعظمها سرية عبدالله بن جحش إلى بطن نخلة بين مكة والطائف ، والتي تعتبر إرهاب مباشر لدُنُو أجل القتال ، وكانت مقدّمة لغزوة بدر الكبرى .

أهمية الموضوع :

تأتي أهمية هذا الموضوع لبيان حقيقة الصِّراع بين الحقِّ والباطل ، وحتميَّة المفاصلة ، فقد جاءت غزوة بدر - الفُرْقان يوم التقى الجمعان وحسمت على أرض الواقع صراع امتدَّ عشرات السَّنين في سويغات من النهار .

- تعتبر غزوة بدر أول غزوة قادها النبي ﷺ بنفسه وقاتل فيها بسيفه ، وترتّب على مجرياتها سائر الغزوات لما لها من أهميّة في الإسلام .
- بيان اختصاص النبي ﷺ بالمعجزات والإرهاصات وخوارق العادات ، فهو قائد القادات ومسير السرايا والغزوات ، خاض بدرا مقاتلا بسيفه ، حيث فاجأ الكفار بعناصر وفنون في القتال جديدة تُعد سبقا عسكريا للنبي ﷺ القائد والرسول المجاهد .
- سبقت الأقدار في غزوة بدر بتزاحم مقدماتها ، وتقارب خطا إرهاباتها مجتمعة لحسم أطول صراع كلامي بين الحقّ والباطل .
- تأتي أهميّة الموضوع لبيان أهميّة الهجرة التي تعتبر نقطة تحوّل في حياة المسلمين ، و هي تمثل عزة المسلمين وقوتهم ، ونُهيء الملاذ الآمن للدعوة الإسلامية ، ومن - المدينة - دار الهجرة انطلقت كتائب الإسلام وسرايا الحقّ تتعقّب تجارة قريش وترصد قوافلها ، بل وتشكّل المخاطر تليها الهزائم المادية والنفسية .

الدعوة إلى الله في المواسم والهجرة إلى يثرب:

لاقى رسول الله من كفار مكة ضنوبا من الأذى وألوانا من العذاب ، وهذا أمر حتمي فما من داع ولا مصلح رفع لواء الحقّ بين قومه إلا كُذِبَ وعودي ورُمي بالباطل ، هكذا كان حال النبي فقد أذى من مشركي مكة أشدّ الإيذاء ، لكن دعوة الحقّ ماضية منتصرة ، ولها في كلّ زمان أعونا وأنصارا ، قال رسول الله : « لاتزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم »⁽¹⁾ . ومن عناية الله بالنبي ﷺ نزول الوحي عليه - بين يدي ذلك - تسليّة وأريحية ، يخفّف عليه أذى الكفار وكيدهم ، فمنذ أن نزل قوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة الحجر : 94 ، أخذ رسول الله يظهر بالحقّ ، ويعرّض نفسه على القبائل ، يدعوهم إلى الإسلام مستقلا التّجمعات في الأسواق والمواسم من كلّ عام ، ثمّ يلاقهم بعد قفولهم من الحجّ في أسواق عكاظ ومُجَنَّة وذِي المجاز ، يتبع منازلهم قائلا : « أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا ، وَمَلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ وَتُذِلْ لَكُمْ الْعَجَمَ ، وَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْجَنَّةِ »⁽²⁾ .

كان نهج النَّبي ﷺ في الدَّعوة إلى الله قوة في حَقِّ وصبر على الخلق ، حتَّى هَيَأَ الله تعالى مسامع الأنصار وقلوبهم إلى دين الله ، فدعاهم داعي الخير فآمنوا بالله العظيم ، وصدَّقُ بالرَّسول الصَّادق الحقَّ المُبين وانتشر الإسلام في يثرب ، وتفشَّى أمر الله على لسان مصعب بن عُمير - أول رسول لرسول الله ﷺ - يُعاونهُ عبدالله بن مَكْتُوم ، فأسلم سعد بن مُعاذ زعيم الأوس ، وأسلم بإسلامه جُلُّ بنو عبد الأشهل رجالهم ونساءهم ، لهذا سُمِعَ في مكة صائحا يصيح ليلا بأعلى أبي قُبَيْس ولا يرونها يقول ⁽³⁾ :

فإن يسلم السَّعدان يصبِح محمد

همكة لا يخشى خِلاف المُخالف

وكان هذا الصَّوت من الجنِّ التي شاركت في الدَّعوة ، فوصلت بذلك لقريش الرِّسالة ، وعرفوا أنَّ السَّعدان هما : سعد بن معاذ زعيم الأوس ، وسعد بن عُباد زعيم الخزرج ، وتوافد الأنصار إلى مكة مع الحجاج وواعدوا رسول الله ﷺ للالتقاء به ليلا عند العقبة ، وذلك في أوسط أيَّام التَّشريق ، وكانت بيعة العقبة الثَّانية ، حيث بايع الأنصار النَّبي ﷺ على ما قال : « أبايعكم على ما أن تمنعوني ممَّا تمنعون مكنه نساءكم وأبناءكم » ⁽⁴⁾ . ويُلاحظ من ألفاظ هذه البيعة وفخاها دِلات واضحة إلى أنَّ الأمر سيفضي إلى القتال مستقبلا وبلا شك ، عندها تكون حماية النَّبي ﷺ صلى الله عليه وسلم مُقدَّمة على حماية أهل هذه البيعة لأنفسهم وذرائعهم ، وأنَّ النَّبي ﷺ صائرٌ إليهم ومُحتَم بهم ، ونذيرا لأهل مكة بأنَّ الحقَّ لا ريب سيعلو ، وأنَّ الله مُتِمُّ نوره وعُدُّ منه لا يُخلف . وقد بلَّغ النَّبي ﷺ الرِّسالة لوفود الحجِّ وقبائل العرب ، وانتشر بينهم الحديث بالإسلام ونبيه ، فمن هُنا أحسَّ كفار مكة بخُطورة هذه البيعة ، وخافوا من هجرة المسلمين إلى يثرب ، واجتماعهم هناك بالأنصار على حربهم ، ومن ثَمَّ أخذت قريش في أذية بعض المسلمين وتعذيبهم حتَّى يردوهم عن دينهم ، ولكن تمسَّك المسلمين بعقيدتهم وصدقهم مع ربِّهم كان مُصدرا لثباتهم ، الإمر الذي أعجز الكفار فيهم وحراروا في شأن أصحاب رسول الله ﷺ !! فهم ومع كلِّ هذه الضُّغوط يزدون كلَّ يوم ولا ينقصون !! وأنَّهم يثبتون تحت وطأة العذاب ولا يترددون ، يوشك أن يُؤذَن لهم بالهجرة إلى يثرب فيتواسون بإخوانهم في الدِّين ، فيزيدون منعة وقوة بهم ولا يخسرون .

وكان من أسباب الهجرة تعرّض المسلمين في مكة إلى الله تعالى لفتنة في الدّين، ولكن لكلّ أجل كتاب حيث علم الله ثباتهم على الحقّ، وشهد بإخلاصهم له، فاستجاب لدعاء النّبي ﷺ فهيأ لهذه الدّعوة في هذه المرحلة أنصارا يثرب هم الأوس والخزرج، تضع لهم قريش ألف حساب، فطريق قريش التجاري يمرّ بهم، ويُشهد لهم - بين القبائل - بأنّهم أصحاب السّلاح والعتاد الحربي. ولهذا بشّر النّبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى يثرب، والالتحاق بإخوانهم الأنصار ليواسوهم ويرفقوا بهم في الحياة، وليتعرّضوا بهم في الدّين، وينجوا من الفتنة، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها»⁽⁵⁾. فخرج المسلمون من مكة مهاجرين إلى الله ورسوله، وتركوا أموالهم وديارهم التي هي في أحبّ البلاد، وتسارعت حشودهم إلى المدينة، حيث الملاذ الآمن الصّالح للعبادة والقابل لنشر الدّعوة الإسلامية، وقد وقع أجّره على الله، امتثالا لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
ورة النساء: 100، وهذا مقصد النّبي ﷺ في دعائه لهم: «اللهم امض لأصحابي هجرتهم»⁽⁶⁾.

وقعت هجرة المسلمين في غاية السّريّة والتّخطيط، لأنّ قريشا فطنت لعاقبة البيعة ومآلاتها، لذا كانت بالمرصاد لكلّ رائح من البيت وقادم، وأخذ المسلمون يخرجون سرّا فردا فردا وجماعة في إثرها جماعة، فكان أول مهاجر وصل المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد⁽⁷⁾

وأعدّ النّبي ﷺ لهجرتهم خطة دقيقة، ورسم خارطة طريق مُحكمة، مُتوكّلا على الله مع الأخذ بالأسباب المادية المُمكنة. فاصطفى أبا بكر ليكون الصّاحب المرافق والملازم له في الهجرة، وجنّد أهل أبي بكر للخدمة لهم في الغار، واستأجر عبدالله بن أريقط ليكون الدّليل الماهر بشعاب الطريق وكان مشركا. وخرج رسول الله ﷺ هو وصاحبه ليلا إلى غار ثور بأسفل مكة عكس اتجاه طريق المدينة زيادة في التّعمية والتّمويه حتّى لا يترك مجالا لحظوظ الكفار العمياء والخبط العشواء!! خرج يمشي على أمشاط أصابعه حيلة تامة وحذرا شديدا، وقرّر أن يمكث ثلاثة أيام بالغار حتّى يخفّ الطّلب.

وكانت الهجرة لهذه الأسباب وبهذه المفاهيم نجاة للمسلمين من الفتنة ، وعِزة وقوة لهم في الدين ، وخطوة استباقية إلى النصر والفتح المبين ، فما من نبي هاجر من قبل إلا ونصره الله ، وبذا فإنَّ الهجرة النبوية تُعتبر من أبرز إرهاصات النَّصر في غزوة بدر الكبرى .

أرسال السَّرايا بين يدي الغزوة:

وصل النَّبي ﷺ يثرب ، وطابت بمقدمه الميمون طيبة ، وسُمِّيت يثرب يومها بالمدينة المنورة ، قال البراء : جاء رسول الله ﷺ فما رأيت النَّاس فرحوا بشيء قط فرحهم به حتَّى رأيت الولايد والصَّبيان يقولون : هذا رسول الله قد جاء⁽⁸⁾ . وبوصول رسول الله ﷺ إلى المدينة اكتست الدَّعوة الإسلامية بثياب جديدة ، وأخذت مُنحنى الظُّهور والانتشار تزامنا مع تشييد النَّبي ﷺ مسجده النَّبوي ، الذي غدا مقرًّا للقيادة ، ومنبرًا للدَّعوة ، وميدانًا تُعقد في مجالس العلم والتعلم ، فمنه تنطلق السَّراي وتتحرك الجيوش وتُعقد الألوية ، وبرحابه تُستقبل الوفود وتُقام المؤتمرات ، بالإضافة إلى قيام الصَّلوات الخمس فيه واجتماع النَّبي ﷺ بأصحابه وحضرتهم بين يديه . وبذا أصبح للإسلام كيان قوي ، وغدا القتال بين المسلمين والكفار ومواجهتهم أمرا وشيكا ، وأحسَّت قريش بخطورة الهجرة وما ترتَّب عليها من أبعاد ، الأمر الذي أهَّل المسلمين إلى السَّعي لاسترداد أموالهم تلك التي صادرتها قريش من المهاجرين . وبذا تُعد الهجرة نقطة تحوُّل في حياة الإسلام والمسلمين ، وفتح من الله بدِّل حالهم من الضَّعف إلى القوَّة ، ومن حياة التَّخفي والسَّرية إلى الظُّهور والعلانية والدَّعوة إلى الله بصوت عال ، وأواهم ربَّهم من دُل المشركين واستضعافهم لهم في مكة إلى الأمن والأمان والمؤاخاة والحياة الكريمة .

دُرُول الإذن بالقتال :

بعد نجاة المسلمين وهجرتهم إلى المدينة ، تَمَّت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فأصبح ترقب اللقاء بين الحقِّ والباطل أمرا حتما ، فلا بدَّ أن يلاقي كفار مكة الجزاء بمثل ما اعتدوا على المسلمين في مكة ، حين لم يأذن الله تعالى لهم بالدِّفاع عن أنفسهم ، فلمَّا اجتمع المهاجرون بنبيهم في دار الهجرة نزل الإذن من الله عزَّ وجلَّ للمسلمين بالقتال ، قال تعالى : ﴿ اُذْنُ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾

وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِيعُ الصَّالُونَ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٠﴾

سورة الحج : الآيتان 39. وهي أول آية نزلت في القتال ⁽⁹⁾ ، نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بدليل ما ورد عن ابن عباس أنّه قال : لما خرج النبي من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم إنّنا لله وإنا إليه راجعون ليَهْلِكَنَّ . فأنزل الله هذه الآية فقال أبو بكر : عرفت أن سيكون قتال ⁽¹⁰⁾ . وجاء نزول الإذن بالقتال بعد أن اجتاز المسلمون وهم بمكة كلّ مراحل وصور الابتلاء والتّميحيص ، ومن ثمّ أنزل عليهم النصر والسّكينة وآواهم ربّهم إلى دار الإسلام بالمدينة المنورة ، لهذا كانت الهجرة مفتاح نصر المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَيَذَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأنفال : 26 ، آواهم الله من دُلّ المشركين واستضعافهم لهم في مكة ، لهذا كلّ تأخّر القتال والجهاد إلى ما بعد الهجرة حتّى يستكمل المسلمون عدّتهم الماديّة والمعنويّة . ومن هذه العظات والعبر يتعلّم المسلمون مقدار طاعة الله ، وطاعة رسوله ﷺ ، فإنّه لا يأتي بأمر من عنده إلّا أن يأذن له ربّه فيه ، وكذلك ينبغي على المسلمين أن يكونوا رهن تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم ووفق إشارته ، لهذا كانت حياتهم في مكة فترة إعداد وتربية على الصّبر وضبط النّفس ، وقد نجحوا في ذلك ، فها هو ذا بلال يقف صابرا مُحْتَسِبا تحت العذاب يتلقّى ضربات الكفار مُقبلا ولا يزيد على قوله : أحدٌ ... أحدٌ !! حتّى عجز الكفار وثاروا في ثباته ، وبلغ بهم اليأس أن دفعوه إلى أبي بكر الصّديق ففداه وأعتقه . وكانت الدّعوة الإسلاميّة في تلك المرحلة تتبع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة بعيدا عن الإكراه والقهر ، وهذا ما يتناسب وزعامات قريش وأعرافهم ، لأنّه ربما دفعهم أسلوب القوة إلى الصّد والعناد والإعراض ، ويُمكننا أن نتصوّر إذا وقع القتال في مكة حين ذاك فبين من يقع ؟ وعمل من تدور دائرته ؟ إنّهُ بلا شك يقع بين الأهل وذوي العشيرة وبني العُُمومة ، فتتقطّع الأرحام وتتلاشى العلاقات الأسريّة والأنساب !! عندها يصدّق ما كان يدور في تصوّر الكفار أنّ محمّدا يفرّق بين الإبن وأبيه ، والزّوج

وزجته ، وبين الأخ وأخيه ، تحت ضغط السيف والإكراه . ولعلّ من أعظم الأسرار في تأخير الإذن بالقتال ، أنّ كثيرا من صناديد الكُفر كانوا ممسكين بخيوط من الهداية وكانوا أقرب إلى اعتناق الإسلام ، قد اطلع الله على قلوبهم ، وستكون لهم - من بعد ذلك - موقف محمود ، منهم قادة الفُتوح ورجال السّياسة والدّولة ، لهذا كان النّبي ﷺ كثيرا ما يدعو: « اللَّهُمَّ أعزّ الإسلام بأحبّ الرّجلين إليك ، بعمر بن الخطّاب أو بأبي جهل بن هشام ⁽¹¹⁾ . فكان أحبّهم إليه عمر بن الخطّاب ، وفي إسلام عمر بن الخطّاب ، وخالد بن الوليد ، وعمر بن العاص نصر الإسلام وفتح وعزّته . وتُعتبر هذه الأحداث جزء من تلك الإهاضات التي مهّدت لغزوة بدر الكبرى ، لأنّ دوام الحال من المحال إذ لابدّ أن تنجلي صور الابتلاءات تلك التي صبر عليها أولو العزم من المسلمين في مكة ، فجاءت غزوة بدر وحوّلت مسار الدّعوة الإسلامية إلى آفاق النّصر ومرامي الفتح المبين .

إرسال السّرايا والاستطلاعات الاستخباراتية :

نزل الإذن بالقتال والمسلمون في المدينة وبعُدت الشّقة بينهم وبين كفار مكة ، وعاهد النّبي ﷺ اليهود في المدينة وكاتبهم على الدّفاع والتصدّي لكلّ من جاء محاربا لأهل المدينة ، وبذا أغلق رسول الله ﷺ الباب دون كفار مكة وأمن جانبهم . ولما كانت قريش تمثّل العدو الأوّل للإسلام ، كان همّ النّبي ﷺ منصبا عليها ، فابتكر لذلك سلاحا جديدا وخطيرا يتلاءم وظروف تلك المرحلة ، ويُعدّ سبّقا عسكريا للنّبي ﷺ في مجال الاستخبارات والاستراتيجية العسكرية والتّخطيط الحربي ، فأرسل السّرايا والدّوريات كي تتعقّب قوافل قريش التّجارية ، في خطوة للاستيلاء على تلك القوافل وما حملت من أموال ، عوضا عن ما أخذت قريش من قبل من أموال المهاجرين ، حتّى يتسنى للمسلمين التّعرف على السّكان المجاورين للمدينة ، ومن ثمّ عقد الأحلاف معهم ليأمنوا جانبهم ويكسبوا تأييدهم ويكون ذلك سببا في إسلامهم . ومضى النّبي ﷺ في هذا الاتجاه وكرّس جُلّ جهده في تتبع أخبار قريش وتحسس طرقها التّجارية ، يسأل عن قوافلها وعيها بين مكة والشّام الغادي منها والرّائح ، فأرسل أربع سرايا من المهاجرين خاصّة ، لاعتراض هذه القوافل ، وخرج هو بنفسه ﷺ في أربع غزوات لهذا الصّد ⁽¹²⁾ ، حالف فيهنّ بعضا من قبائل العرب

، عاهدهم على حسن الجوار وأمن جانبهم . وتُعد هذه الغزوات بمثابة الجهاد في سبيل الله ، لأنهم لو أدركوا تلك القوافل لوقع بينهم القتال لا محالة ، ولو حدث ذلك لكان في طاعة الله الذي كتب عليهم القتال وأمرهم به . ومن هنا أحسّت قريش بعظيم الخطر ، ليس في خروج المسلمين من مكة مهاجرين فحسب بل في تعرّض أموالها وتجاريتها لتهديد المسلمين ، ورَبِّها مصادرتها والسَّيطرة عليها ، فكانت كلّ قافلة تخرج من مكة في طريقها إلى الشَّام فهي تحت مرّصد المسلمين ومراقبتهم المستمرة . فما عرفت قريش مثل هذه الأخطار من قبل، لكنّها استراتيجية النّبي ﷺ الحربية متمثلة في تعدد الأسلحة الهجومية وتنوعها ، والضّرب على الأوتار الحسّاسة التي لا تحتمل قريشا مساسها ، وبالفعل تعرّضت قريش خلال هذه الفترة إلى هزائم المسلمين الماديّة والنّفسيّة ، وفي كلّ موقف لا تستطيع قريش من الرّد على المسلمين بمثلها ، وكانت نتائجها لصالح المسلمين . ومن المعلوم أنّ قريشا تقطن بواد غير ذي زرع ، وشريان حياتها قائم على التّجارة وضيافة الحُجاج ، فلمّا كَثُف المسلمون من السّرايا والدّوريات أصبحت جميع الطّرق المؤدّية إلى مكة تحت قبضة المسلمين ، فسرية حمزة بن عبدالمطلب لاحقت قريشا إلى سيف البحر يعني ساحله ، وأما أبوعبيدة بن الحارث فالتقى أبو سفيان بماء من بطن رابغ⁽¹³⁾ ، وخرج سعد بن أبي وقاص لاعتراض عير قريش وعهد إليه رسول الله ﷺ ألاّ يجاوز الخرار⁽¹⁴⁾ . وفي غزوة الأبواء خرج النّبي ﷺ بنفسه لتهديد طُرق قريش التّجارية التي بين مكة والشّام حتّى بلغ الأبواء (وهي غزوة ودّان)⁽¹⁵⁾ ، ثمّ غزا رسول الله ﷺ بواط لنفس الهدف الذي خرج له في الأبواء فبلغ بواط ممّا يلي طريق الشّام⁽¹⁶⁾ ، ففاتتهم قافلة قريش . ولمّا أغار كرز بن جابر الفهري على مراعي المدينة تعقّبه رسول الله ﷺ حتّى بلغ واديا يُقال له سفّوان من ناحية بدر⁽¹⁷⁾ . وتتابع خطّة النّبي ﷺ واستراتيجيته الرّامية إلى تهديد تجارة قريش بإرسال السّرايا وملاحقة قوافلها التّجارية ، وكان لا بدّ من تهديد طريق السّاحل الذي يمرّ بينبّع لأهميّته ولأنّ معظم تجارة قريش تمرّ به ، ومن ناحية أخرى فإنّ هذا الطّريق أقرب من الطّريق الشّرقى مسافة ، ولهذا الاعتبار انتدب رسول الله ﷺ خمسين ومائة ويُقال مائتين من المهاجرين وخرج يقودهم بنفسه يعترضون عير قريش وهي في طريقها إلى الشّام ، فبلغ ذا العشيرة بين ينبع

والمدينة ففاته العير، فُسِّمَتْ هذه الغزوة بذي العشيرة⁽¹⁸⁾. وردًا على غارة كرز على المدينة بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش إلى بطن نخلة⁽¹⁹⁾ بين مكة والطائف حتى يترصد عير قريش، وكانت النتيجة قتل ابن الحضرمي وأسر اثنين من المشركين، واستاقوا العير ومن عليها، وكانت أول غنيمة في الإسلام. وأحسَّت قريش عندئذٍ بقوة المسلمين المتنامية في المنطقة، فقد أصبح للمسلمين كيانا يشكل لأهل مكة المخاطر على تجارتهم ومكانتهم، وبذا تمكَّن المسلمون من اختراق حدود مكة والضَّغط بقوة بتهديد طرق قريش الجنوبية إلى اليمن، وكان أبعد ممَّا يتوقعون وصول المسلمين إلى حدود مكة والتغلُّغ إلى الدَّاخل. ومن مخاطر سرية عبدالله بن جحش هذه أنَّها إرْهاص لِدنو أجل القتال، ورسالة عاجلة إلى كفار قريش تحمل إشارات التَّحدِّي والتَّصدِّي والمنازلة الوشيكة في الميدان، فهي مُقدِّمة لغزوة بدر الكبرى، وقد سقط فيها أول قتيل (مشرك)، وُودِرت أموالهم غنيمة للمسلمين. وحقَّ لكفار مكة - بدوافع السُّمعة والعصبية - أن يأخذوا بثأرهم، ولكن هيهات أن يلعب الكفار نفس الدَّور ويهدِّدوا حياة المسلمين وتجارَتهم بالمدينة معاملة بالمثل!! لا لا يُمكن لهم ذلك لأنَّ طرق التَّجارة تُمرُّ بالمدين أولًا، وقد حالف النَّبي ﷺ بعض قبائل العرب المجاورين فأمن جوارهم وكسب ودَّهم فلا مجال للاختراق من بينهم. ولكن ما يُمكن أن تلعبه قريش كردُّ فعل هو حرمان المسلمين من الكعبة وصدَّهم عن الحرم، أو الاعتداء على المعتمرين وأسرهم للمساومة والتَّفاوض، وحتَّى هذه الخطوة لا تقدم قريش على فعلها، لأنَّها تخشى بطش المسلمين بمزيد من محاور التَّهديد على القوافل التَّجارية بصورة تجعل المشركين في مكة عظة وعبرة لكلِّ قبائل العرب.

الخاتمة:

- وبعد هذه الدِّراسة التَّحليلية، ومن خلال العرض الموضوعي لدقائق وتفاصيل إرْهاصات غزوة بدر الكبرى، ومن كشف الاستنتاجات والاستنباطات أخلص إلى أبرز النَّتائج:
- استمرارية الصُّراع بين الحقِّ والباطل، في معركة دائرة ما دار الزَّمان وسار، وحتميَّة المفاصلة بلا شك.
 - يُلحظ في ألفاظ بيعة العقبة الثَّانية إرْهاصات ودلالات واضحة أنَّ الأمر سيفضي إلى القتال.

- اختصَّ النَّبي ﷺ بأنَّه نبي الملاحم ، قائد القادات ومُسَيِّر السَّرايا والغزوات ، خاض بنفسه بدر وسائر الغزوات .
- كانت الهجرة نقطة تحوُّل في حياة المسلمين ، ارتقى حالهم من الضَّعف والتَّفرقة إلى القوة والعِزَّة ، من الفقر والجهل إلى الغنى وبسط نُعمة ، جيشوا الجيوش وعقدوا لإنفاذ الغزوات السَّرايا طلائع الاستخبارات .
- هيمن المسلمون على كلِّ الطُّرق التَّجارية لقوافل قريش ، فأحست قريش بالخطر وتأزَّمت حركة قوافلها ، وتعرَّضت إلى الهزائم المادية والنَّفسية ، وكان ذلك إرهابا من أبرز إرهابات غزوة بدر .
- تعبر سرية عبدالله بن جحش إلى بطن نخلة أبرز الإرهابات لغزوة بدر ، قرَّبت أجل القتال ففيها سقط أول قتيل مشرك ، وصُودرت أموال الكفار كأول غنيمة في الإسلام .

المصادر والمراجع :

- (1) مسلم 57/7 رقم (1920) ، فتح الباري 342/7 رقم (3640) .
- (2) ابن سعد / الطبقات الكبرى 216/1 .
- (3) السيرة الحلبية 229/2 .
- (4) ابن هشام / السيرة النبوية 75/2 .
- (5) المصدر السابق 99/2 .
- (6) فتح الاري 688/7 رقم (3936) .
- (7) ابن هشام 92/1 .
- (8) ابن سعد/ مصدر سابق 234/1 ، السيرة الحلبية 234/2 .
- (9) القرطبي / الجامع لأحكام القرآن 12-11/6 .
- (10) المصدر السابق 438/5 ، ابن كثير / تفسر القرآن العظيم 430/2 .
- (11) ابن سعد / مصدر سابق 267/3 .
- (12) ابن هشام / السيرة النبوية 210-198/2 .
- (13) ابن سعد / مصدر سابق 7/2 .
- (14) الواقدي / كتاب المغازي 11/1 .
- (15) ابن كثير / المغازي النبوية ص : 13 .
- (16) المصادر السابقة 8/2 ، ص : 15 .
- (17) المصدر السابق ص : 18 .
- (18) المصادر السابقة 10/2 ، ص : 16 .
- (19) المصادر السابقة 10/2 ، كتاب المغازي 13/1 .

المصادر :

- (1) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، بيروت ، ط (5) ، 1417هـ-1996م .
- (2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الحافظ أحمد علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط (1) ، 1414هـ-1993م .
- (3) صحيح مسلم بشرح النووي ، الإمام زكريا يحيى بن شرف النووي ، بيروت، ط (1) 1415هـ-1995م .
- (4) السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1415هـ-1994م .
- (5) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، دار الصادر ، بيروت ، 1388هـ-1968م .
- (6) المغازي النبوية لابن كثير ، القاضي محمد بن أحمد كنعان ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، ط (1) 1417هـ-1997م .
- (7) كتاب المغازي للواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، بيروت ، ط (39) ، 1404هـ-1984م .